

# العراق: شعب أَخْمَد صُوْتَه



## الشيخ يحيى محسن جعفر الزيني

في ٢ تموز/يوليو، ١٩٩٩، عاد طالب في إحدى المدارس الدينية يبلغ أواخر العشرينات من عمره، ويدعى الشيخ يحيى إلى منزله ليجد أن شرطة نظام صدام السرية قد ألقى القبض على والده وأثنين من أشقائه واحتجزتهم كرهائن حتى تتمكن من اعتقاله. كان الشيخ يحيى مشتبهاً به بأنه أحد مؤيدي عالم ديني شيعي بارز أثار اغتياله قبل ستة أشهر احتجاجات واسعة. وجرى في حينه قمع هذه الاحتجاجات بوحشية على يد قوات الأمن التابعة للنظام، لكن عمليات البطش استمرت لاحقاً.

استسلم الشيخ يحيى، إذ لم يجد أمامه أي خيار آخر. قبض رجال الأمن عليه وعصبوه عينيه، واقتادوه إلى مبنى مديرية أمن صدام «اللاستجواب». وبعد أن أرغم على مشاهدة إجراءات تعذيب أحد أصدقائه، اقتاده رجال الأمن إلى غرفة أخرى حيث انتظر دوره للتorture. وحكياته لما حدث بعد ذلك تقدّم لها الآباء:

«جريدة من كل ملابسي وقال أحد ضباط الأمن، لقد اعترف ضدك الشخص الذي شاهدته الآن. ثم قال لي، لقد قمت انت اتباع آية الله الصدر بأعمال مسيئة لأمن البلاد وزعمت مناشير مناهضة للحكومة جاءتكم من خارج البلاد. سأله ما إذا كان لدي أي اتصال بعالم ديني عراقي مقره في إيران كان يقع على هذه المناشير. فأجبته، ليس لدي أي اتصال به. ثم تركت معلقاً [عارياً ومكبل اليدين بعد أن وضعوا لوحًا خشبياً بين مرافقي وركبتي على مقعددين عاليين] ... كان وجهي موجهاً إلى الأعلى. ربوا طرف سلك كهربائي على قضيبه ووصلوا الطرف الآخر بمحرك كهربائي. وكان أحد رجال الأمن يوجه ضربات بكابل فولاذ إلى قدمي. كانت تسلط الصدمات الكهربائية كل بضع دقائق، وتزداد شدتها. بقيت معلقاً بهذا الشكل على الأقل لمدة تزيد عن ساعة. ثم فقدت الوعي... وكرروا أسلوب التعذيب هذا بضع مرات.»

تم تعریض الشيخ يحيى بانتظام إلى صدمات كهربائية وضرب على قدميه. ولفتره شهرين من احتجازه، كان ينام على الأرض ويداه مكبلتان خلف ظهره ووجهه ملتتصق بالأرض. واستناداً إلى شهادته، كان هذا العذاب أشد إيلاماً من الصدمات الكهربائية. في إحدى المرات عُلّق بخشبان إحدى النوافذ لمدة ثلاثة أيام متواصلة، وخلال تعليقه تم ربط وزن ثقيل بأعضاءه التناسلية.

بعد انقضاء خمسة أشهر، نُقل الشيخ يحيى مع ٢١ محتجزاً آخر إلى مركز احتجاز (سجن) منفصل يقع في بغداد أيضاً. وبقي محتجزاً لفترة أربعة أشهر أخرى دون توجيه أي تهمة إليه أو محاكمته، إلى أن أطلق سراحه في ١٤ نيسان/أبريل، ٢٠٠٠.

أخذت هذه القصة من تقرير نشرته منظمة العفو الدولية بعنوان،  
العراق: التعذيب المنتظم للسجناء السياسيين، ١٥ آب/أغسطس، ٢٠٠١

لم تكن التجربة التي مر بها الشيخ يحيى حدثاً منعزلاً، بل كانت نموذجاً واحداً فقط من الظلم الذي يمارسه بانتظام صدام حسين ونظام حكمه ضد العراقيين لكتم أصوات معتقداتهم.

## ما خص تنفيذى

قام صدام حسين حال وصوله إلى السلطة، في عام ١٩٧٩، بكم جميع أصوات المعارضة السياسية في العراق وحول دولته ذات الحزب الواحد إلى عبادة الشخص الواحد. ومنذ ذلك الحين، وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً، قام نظامه بصورة منتظمة بإعدام، وتعذيب، وسجن، واغتصاب، وإرهاب، وقمع الشعب العراقي. فالعراق بلد غني بالثقافة، وله تاريخ طويل من الإنجازات الفكرية والعلمية. إلا أن صدام حسين أسكن أصوات علمائه وأطبائه، وحتى أصوات نسائه وأطفاله.

أما المعارضون العراقيون فيجري تعذيبهم، أو قتلهم، أو اخفاوهم بحيث يمنع غيرهم من المواطنين العراقيين من انتقاد الحكومة على أي المطالبة بالتغيير. وهناك نظام قائم على العقاب الجماعي يقوم بتعذيب عائلات أو جماعات إثنية بأكملها، بسبب أعمال يمكن أن يكون قام بها أحد المعارضين من بينها. يتم اغتصاب النساء، وتُلقط لهن أحياناً أفلام فيديو تصور عملية الاغتصاب بهدف ابتزاز عائلاتهن. تقطع رؤوس مواطنين على مرأى شهود، ويفرض على عائلاتهم عرض رؤوس المقتولين كتحذير لغيرهم من الذين قد يشكرون بسياسات النظام. كان صدام حسين أيضاً أول زعيم يستخدم أسلحة كيميائية ضد شعبه بالذات، إذ كتم، بالغازات السامة، صوت سكان أكثر من ٦٠ قرية وأكثر من ٣٠ ألف مواطن.

حاول صدام حسين أيضاً كتم أصوات الأقليات الإثنية والدينية في العراق. خلال حملة الأنفال عام ١٩٨٧ - ١٩٨٨، قتل نظام صدام حسين وعد الشعب الكردي وأزال من الوجود عدة قرى كردية، وأجبر الأكراد الباقين على النزوح إلى مناطق يمكنه فيها مراقبة تحركاتهم. قمع نظام حكمه الطائفية الشيعية عبر أعمال قتل، والتوقيف، ومنع أفرادها من أداء صلاة الجمعة، ومن تداول الكتب الدينية للطائفة في بعض المناطق. كما استهدف نظام حكمه مواطنين من بلدان أخرى متواجدون في منطقته، فقتل وعد مواطنين كويتيين وإيرانيين، من بين آخرين.

لا يُسمح للشعب العراقي بال تصويت للتغيير الحكومة. أما حرية التعبير، والاجتماع والتحرك فلا وجود لها في العراق. تخضع وسائل الإعلام لرقابة مشددة - يملك ابن صدام حسين الصحيفة اليومية العراقية. ولا يسمح للمواطنين العراقيين بالتجمّع إلا للتعبير عن دعمهم للحكومة، ولا يستطيع المواطنون العراقيون مغادرة العراق بحرية.

أصدرت هيئات المجتمع الدولي، ومن ضمنها منظمات تابعة للأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية تعمل على المستوى الدولي، تقارير موثقة حول الانتهاكات الفظيعة التي يرتكبها النظام، ونددت بها تكراراً. لكن صدام حسين يتغافل ببساطة إرادة بقية العالم.

أعطى صدام حسين للشعب العراقي خياراً رهيباً - البقاء صامتاً - أو تحمل نتائج عدم السكوت. ولكن رغم محاولات نظام حكمه في إسكات الشعب العراقي، فإن أصواته لا زالت تسمع.



نساء عراقيات يحملن يافطات خلال اعتصام نظمهن، يطالبن الأمم المتحدة بضمّن سلامتهن فيما كانت القوات المسلحة الأميركيّة تتهيّأ لمغادرة العراق في نيسان/أبريل، ١٩٩١.

## كم الأفواه بالقتل

على امتداد أكثر من ٢٠ سنة، اعدم صدام حسين مناهضين مشتبها بهم لنظام حكمه دون أي اكتراث لحكم القانون. يكم صدام حسين أفواه المشتبه بهم من هؤلاء المعارضين، لانه يعتقد أن مبادئهم السياسية، أو طائفتهم الدينية، أو خلفيتهم العرقية، أو أفراد عائلاتهم، أو معارفهم يشكلون تهديداً لسلطته. يلقى القبض على بعضهم في بادئ الأمر كسجناء سياسيين قبل أن يتم إعدامهم. ففي شباط/فبراير، ١٩٨٨، تم إعدام ٤٠٠ سجين دون محاكمة في سجن أبو غريب. وبعد انقضاء شهرين، جرى دفن ١٠٠ سجين وهم أحيا من سجن الرضوانية في حفرة جماعية في محافظة الرمادي. كان يتوقع من هذه الإعدامات أن تؤدي إلى «تنظيف السجون». وقد بلغ عدد الذين قتلوا بهذه الطريقة، منذ عام ١٩٩٧، أكثر من ٣ آلاف شخص.



استخدم صدام حسين الأسلحة الكيميائية في هجومه على بلدة حلبجة في العام ١٩٨٨، وهو هجوم لم ينج من موته الأليم سوى القليل.

اتخذت الإعدامات دون محاكمة في العراق أشكالاً عديدة من الوحشية. وتمثلت الطريقة السريعة والفعالة لتنفيذها في إرغام جميع الذكور من سكان قرية ما في الاصطهاف ثم اطلاق النار عليهم بصورة منتظمة، واحداً تلو الآخر، إلى أن يتم القضاء عليهم جميعاً. ولكن نظام صدام حسين كثيراً ما يفضل أساليب القتل التي تستغرق وقتاً أطول، وتُنزل عذاباً أشد بالضحايا وبأفراد عائلاتهم. فقد قام نظام حكمه بتسميم سجناء سياسيين من خلال إعطائهم سم الثاليلوم البطيء المفعول، الذي ينتشر في الجسم ببطء ويحتاج إلى بضعة أيام ليؤدي إلى الموت. كما تقطع رؤوس مواطنين عراقيين أمام أفراد عائلاتهم، وفي أوقات أخرى، يقتلون بالرصاص أمام أنظار عائلاتهم ويفرض على هؤلاء دفع ثمن الرصاصات التي أطلقت لقتلهم. قام صدام حسين بتعزيز العديد من أساليب القتل هذه لتصل إلى درجة الكمال، عندما استخدمها لقتل الأكراد في شمال العراق والقيادات الدينية للطائفة الشيعية، مدعياً بأنهم غير مخلصين للحكومة. وبعد قتلهم يجري دفن العديد من العراقيين في قبور دون أسماء كي لا يمكن أفراد عائلاتهم من زيارتها.

«كانت السياسة المتبعة من قبل نظام الحكم في العراق هي تغيير التسييج الديموغرافي في العراق، من خلال استئصال السكان الأكراد من مناطق تعتبر مهمة في شمال العراق. لقد نفذ نظام الحكم هذه السياسة من خلال التهجير القسري، والتوقف، الاعتيادي، والتعذيب المنظم.»

— باميلا حلماز، مدرس، ومواطن عراقي سابق

وكمثال وحشي يشكل خاص على أساليب إخماد صوت المعارضة السياسية، من المقدر أن يكون قد قتل ما بين ٣٠ ألف و ٦٠ ألف مواطن، على الأقل، من الطائفة الشيعية خلال ثورتهم السياسية في جنوب العراق التي تلت حرب الخليج.

## إسكات «الخونة»

منذ عام ١٩٧٩، قام صدام حسين ونظامه بصورة منتظمة بقتل، وتشويه، وتعذيب، وسجن، واغتصاب، وإرهاب، وقمع الشعب العراقي. ولمدة تزيد عن العقدتين، قامت «جمهورية الخوف» هذه، وهي العبارة التي وصف بها العراق البحاثة العراقية البارز كنعان مكية، باستهداف وافتراض من اعتبروا أعداء للدولة بغية الاحتفاظ بالسلطة، وتكميس الثروات، وتملك الأرضي. كان هؤلاء الأعداء المفترضون، في أكثر الأحيان، مواطنين عراقيين أبرياء من بينهم أمهات، وزوجات، وطلاب مدارس، ومعلمون، ومسلمون، وأكراد، ومفكرون. نفذ نظام حكمه أيضاً بصورة روتينية عمليات سجن، وتعذيب، وقتل لأقرباء هؤلاء الأعداء المفترضين للنظام. كما وجد صدام حسين أعداء له في دول الخليج المجاورة كالكويت، وإيران، والمملكة العربية السعودية.

«إن النظام السياسي - القانوني السائد في العراق لا ينسجم مع مبادئ احترام حقوق الإنسان، بل يمارس انتهاكات نظامية ومنهجية لهذه الحقوق عبر البلاد تصيب بالفعل جميع السكان..»

– من تقرير ماكس فان دير ستوليف، المقرر الخاص لجنة حقوق الإنسان في العراق التابعة للأمم المتحدة، لعام ١٩٩٩



أفراد أسرة كردية لاجئة، وقد شرّدتهم النظم العراقي من بيتهم في كركوك، يعاينون الأضرار التي لحقت بمنزل عائدهم بعد عاصفة ثلجية ليلاً ضربت مخيماً للاجئين في شمال العراق.

بدأت هذه الممارسات فور استلام صدام حسين رئاسة الجمهورية في تموز/يوليو، ١٩٧٩، عندما أمر قوات الأمن لديه بالعزل العلني بالقوة، والسجن، وبالتالي قتل عدة أشخاص قدماء بارزين في مجلس النواب. وادعى صدام في مجلس النواب أن هؤلاء هم «خونة». دخل صدام حسين بهدوء سيجاراً بينما كانت آلات الفيديو تعرض في البرلمان أشرطة لقيادة حزب البعث. وفي وقت لاحق، دعا أعضاء بارزين آخرين في قيادة حزب البعث للمشاركة في «الاعدامات الديمocratique» لزملائهم المغضوب عليهم. ومنذ ذلك الحين، استُخدمت نفس هذه الأساليب لكتم أصوات عراقيين في جميع مناحي الحياة العراقية. ومهما كانت الطريقة التي تُلْصقُ بك تهمة الخيانة فسوف يتم إسكاتك بطريقة أو بأخرى.

«أصبح العراق، تحت نظام حكم صدام، أرض اليأس، والتعاسة، والخوف. دولة يتم فيها التطهير العرقي للشعب، ويعذب السجناء في أكثر من ٣٠٠ سجن في البلاد، ويجري الاعتصاب فيها بصورة منتظمة... وحيث تؤدي محاولات صدام لقتل شعبه بالغاز السام إلى تشهير خلقي، وتشوه لدى الولادة، وعقم، وسرطان وغير ذلك من الأمراض المختلفة... وحيث يقتل وبعذب الأزواج أمام زوجاتهم وأطفالهم... فالعراق تحت حكم صدام أنسى جحيناً ومحفأً للجرائم.»

– صفية السهيل، مواطنة عراقية، ومديرة الدعوة للقضايا في الاتحاد الدولي للعدالة

العراق بلد ذو تراث ثقافي غني. ولشعب العراق سجل تاريخي مهم من الإنجازات الفكرية والعلمية. لكن النظم الديكتاتوري لصدام حسين، من خلال عدم إظهاره لأي احترام لقيمة الحياة، والكرامة الإنسانية، والحربيات الأساسية، أعاد عقارب الساعة إلى الوراء قرونًا عديدة. ويقوم نظام حكمه بكل أفواه العراقيين الذين يطالبون بالحرية وبحياة طبيعية لهم ولعائلاتهم.

## المفقودون ساكتون

«يختفي» العديد من المواطنين العراقيين بكل بساطة دون سماع صوتهم مجدداً. تنتشر حالات الاختفاء، وتحصل بانتظام بين الاقليات الكردية. في عام ٢٠٠١، أكدت منظمة العفو الدولية أن حكومة صدام حسين مسؤولة عن القسم الأكبر من مئات الآلاف من الأشخاص الذين اختفوا في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال العقود الحديثة.

«إذ قبض عليك فإن حياتك تكون قد انتهت.»

— قال ذلك «أحمد»، وهو مواطن عراقي لم يذكر اسمه الكامل، إلى كاميرون ديليو بار، مراسل صحيفة كريستيان ساينس مونيتور (٣١ تشرين الأول/أكتوبر، ٢٠٠٢).

قدم المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان حول العراق، التابعة للأمم المتحدة، تقارير مدعومة بالوثائق عن ١٦٤٩٦ حالة اختفاء، كما يؤكد بأن عدد الأكراد المفقودين نتيجة حملة الأنفال فقط في عام ١٩٨٨ قد يصل إلى عشرات الآلاف. أكدت لجنة مراقبة حقوق الإنسان ولجنة العفو الدولية أن عدد الذين اختفوا يتراوح بين ٧٠ و ١٥٠ ألف نسمة. واستناداً إلى المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، فإن ثاني أكبر مجموعة جرى استهدافها للإخفاء كانت المسلمين الشيعة.



أقرباء سجناء عراقيين لم يعرف مصيرهم بعد إصدار صدام حسين قرار العفو، في تشرين الأول/أكتوبر، ٢٠٠٢، يتظاهرون أمام مبنى وزارة الإعلام في بغداد.

## كم الأفواه بالتعذيب

تنفيذًا لأوامر صدام حسين، تقوم أجهزة الأمن في العراق بصورة روتينية ونظامية بتعذيب المواطنين العراقيين. فالضرب المبرح، والاغتصاب، وكسر الأطراف، والحرمان من الطعام والماء أمر شائع في السجون العراقية. ابتكر نظام حكم صدام حسين أيضًا أساليب فريدة ورهيبة من أشكال التعذيب، شملت الصدمات الكهربائية المسلطة على الأعضاء التناسلية للذكور، وقطع الأظافر، وتعليق السجناء بمراوح سقفية دوارة، وسكب الأحماض على أجسام الضحايا، وقطع العينين، وحرق الأجسام بمكواة ساخنة أو بمشعل لحام.

تصف غوين روبرتس، مراسلة الصحيفة اللندنية اندبندنت ما شاهدته في مركز تعذيب في شمال العراق، فتقول:

«في إحدى الزنزانات كانت هناك أجزاء من لحم بشري – شحمة اذن – مثبتة بمسامير على الجدار، وكان السقف ملطخاً بالدماء. كانت هناك مروحة معدنية كبيرة مثبتة في السقف، وأخبرني مرافقي بأنه كان يجري ربط السجناء بالمروحة وضرفهم بالهراوات وهو يدورون مع دوران المروحة. كانت هناك كلابات في السقف لتعليق الضحايا. أخبرني أحد ضحايا التعذيب أنه كان يتم أيضًا حلب السجناء بدق المسامير داخل أيديهم لتثبيتهم إلى الجدار. وتمثلت إحدى طرق التعذيب المستحبة بتعليق الرجال من الكلابات وربط وزن ثقيل بخصياتهم».

— صحيفـة الـانـدبـندـنت، ٢٩ آذـار / مـارـس، ١٩٩١.

ولا يوفر المواطنون الأجانب أيضًا من الوحشية. فقد أُعدم عدد كبير من المواطنين الكويتيين وعذبوا واغتصبوا خلال حرب الخليج. وتم اكتشاف أكثر من ٢٤ مركز تعذيب في مدينة الكويت، وتؤكد الإثباتات الفوتوغرافية التقارير التي تتحدث عن استعمال الصدمات الكهربائية، والحمامات الحمضية، والإعدام دون محاكمة، واستخدام مثاقب كهربائية لاختراق جسم الضحايا، إضافة إلى استخدام العديد من المدنيين الأبرياء كدروع بشرية.

كانت عمليات الوسم بالحديد الحامي وبتر الأعضاء تجري بصورة روتينية في المستشفيات العراقية. وفي عام ١٩٩٤، أصدرت الحكومة العراقية ما لا يقل عن تسع قوانين فرضت عقوبات وحشية مثل الوسم بالحديد الحامي. استُخدمت طريقة بتر الأعضاء ضد مواطنين اتهموا بالفرار من الجندية، وقد تم عرض مواطن بترت يده على شاشة التلفزيون الوطني كوسيلة لزرع الخوف في قلوب أفراد الشعب.

خلال عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٥، قُطعت أجزاء من آذان أعداد كبيرة من الجنود بسبب الفرار من الجندية. وقادت الحكومة بوسم إشارة X بالحديد الحامي على جبين هؤلاء الجنود كي لا يعتقد المواطنون العراقيون بأنهم أبطال من جرحى الحرب. وتم تهديد الأطباء الذين رفضوا تنفيذ هذه العمليات بالانتقام، وجرى بالفعل توقيف وسجن العديد منهن. كما أصدرت السلطات العراقية قانوناً في عام ١٩٩٤ جعل بموجبه قيام الأطباء الجراحين بعمليات تجميل أو تصحيح لضحايا الوسم والبتر امراً مخالفًا للقانون. في عام ٢٠٠٠، صدر قانون عراقي جديد أجاز للحكومة قطع ألسن المواطنين الذين يتقدون صدام حسين أو حكومته.

### أساليب التعذيب في العراق

- إجراء تجارب طبية
- الضرب المبرح
- الصلب
- طرق الأظافر لإدخالها في الأصابع والأيدي
- بتر القصيب أو الثديين بواسطة سكين كهربائية
- رش مبيدات الحشرات على عيني الضحية
- الوسم بواسطة مكواة ساخنة
- ارتكاب الاغتصاب مع إجبار زوج الضحية على مشاهدة العملية
- سكب ماء غال في دابر الضحية
- تسميم اللسان على لوح خشبي
- قلع الأسنان بكمامة
- استعمال النحل والعقارب للدغ أطفال عراة أمام أنظار أهاليهم

## نساء مكتومة أصواتهن: صدام حسين يعترف بارتكاب جرائم عنيفة ضد النساء

لا ينكر صدام حسين أن نظامه يعتذب ويقتل النساء بوحشية. فقد نشرت الصحفة اليومية «بابل» التي يملكها عدي، النجل الأكبر لصدام حسين، اعترافاً علينا في عددها الصادر في ١٣ شباط/فبراير، ٢٠٠١، بقطع رؤوس النساء المتهماً بالبغاء. وقد وصف اتحاد النساء العراقيات في دمشق، بسورية هذه الممارسة كما يلي:

«بحجة مكافحة البغاء، قامت وحدات من «فدائبي صدام»، وهي المنظمة شبه العسكرية التي يقودها عدي صدام حسين، بقطع رؤوس أكثر من ٢٠٠ امرأة في كافة أنحاء البلاد، وقدفوا بالرؤوس المقطوعة أمام أبواب منازل عائلاتهن. كانت العيدادات من الضحايا نساء مهنيات بريئات، ومن ضمنهن بعض النساء المشتبه بمعارضتهن للنظام. نفذت هذه الأعمال البربرية في غياب كامل لأي إجراءات قضائية صحيحة، حتى استناداً إلى أحكام القانون الجنائي العراقي بالذات» (٣ آذار / مارس، ٢٠٠١).

تبين التقارير انه طُلب من عائلات عديدة أن تعرّض رأس الضحية المقطوع على السياج الخارجي لمنزلها لعدة أيام. استخدمت هذه الممارسات الهمجية ضد نساء من جميع المهن. فمثلاً، ألقى القبض على طبيبة توليد لانتقادها الفساد المستشري في دوائر الخدمات الصحية، وقطع رأسها لاحقاً بتهمة ممارسة البغاء. كما قطع رأس امرأة أخرى متزوجة لها ثلاثة أولاد بدون توجيه تهمة إليها أو محاكمتها. واستناداً إلى لجنة العفو الدولية، كان زوجها مطلوباً من قبل سلطات الأمن بسبب الاشتباه باشتراكه في نشاطات مسلحة إسلامية ضد الدولة. تمكّن زوجها من الفرار من البلاد ولكن رجال من جماعة «فدائبي صدام» (وحدة شبه عسكرية) ذهبوا إلى منزله فوجدوا زوجته، وأولاده، وحماته. اقتادوا الزوجة إلى الشارع وامسك رجال بذراعيها في حين شد رجل ثالث رأسها من الخلف وقطعه أمام أنظار سكان الجوار. نقل رجال الأمن الجثة والرأس في كيس من البلاستيك، واخذوا الأولاد والحماية معهم، ولا يزال مصيرهم مجهولاً حتى اليوم.

تفتّحب النساء غالباً بغية ابتزاز أقاربهن. يستلزم بانتظام رجال غادروا العراق للالتحاق بمجموعات المعارضة العراقية، أشرطة فيديو تصور عملية اغتصاب إحدى قريباتهم. الغاية من هذه الأشرطة تثبيط معنويات المواطنين العراقيين في الخارج من المشاركة في نشاطات المعارضة. يحمل بعض المسؤولين بطاقات شخصية تحف «نشاطهم» الرسمي بأنه «انتهاك لشرف النساء».

### إذا كنتِ امرأة في العراق، يمكن أن تواجهي

- قطع الرأس، إذا وجهت إليك تهمة ممارسة البغاء.
- الاغتصاب، إذا كنتِ قريبة لشخص يعتقد النظام أنه غير مخلص له.
- التعذيب، إذا كنتِ قريبة لأحد المناهضين لنظام الحكم.



نساء عراقيات يهرونلن مسرعات أمام صورة جدارية لصدام حسين في بغداد.

## الأساجحة الكيميائية تُسْكِنَ المُواطِنِينَ الْعَرَاقِيِّينَ

أصبح صدام حسين أول زعيم في العالم يستعمل الغاز السام بانتظام وعدوانية ضد شعبه. بين عام ١٩٨٣ وعام ١٩٨٨ فقط، قتلت أكثر من ٣٠ ألف مواطن عراقي بغاز الخردل وغازات الأعصاب. أكملت عدة منظمات دولية قتل أكثر من ٦٠ ألف مواطن عراقي بممواد كيميائية، ومن ضمنهم أعداد كبيرة من النساء والأطفال. خلال حملة الأنفال التي دامت سنتين ضد السكان الأكراد، استخدم صدام حسين هذه الأسلحة الكيميائية ضد ما يزيد عن ٤٠ قرية كردية.

كانت الساعة ٦,٢٠ بعد ظهر ١٦ آذار / مارس، ١٩٨٨، عندما استنشق سكان مدينة حلبجة رائحة تفاح. غلَّفت سحابة كثيفة من الغاز بسرعة هذه المدينة الكردية العراقية، التي يقطنها ٨٠ ألف نسمة، في الوقت الذي كانت مواد كيميائية تتسرّب في ملابس، وأفواه، ورئات، وعيون، وجلد المدنيين الأبرياء. وطوال ثلاثة أيام متتالية، ألقت طائرات سلاح الجو العراقي غاز الخردل، وغازات الأعصاب المعروفة باسم سارين وتاپون، وغاز في اكس، وهو نوع من الغاز المميت الشديد الفعال. وخلال ساعات معدودة بعد أول هجوم، قتلت هذه الغازات ٥٠٠٠ مدني على الأقل، وقتلت أو شوهت آلافاً آخرين على امتداد عدة سنوات لاحقة. ومنذ عام ١٩٨٨، أصبح سكان حلبجة بمعدلات هائلة من حالات السرطان الخبيث، والتشوه الخلقي، والضرر العصبي، والأمراض النفسية. وإذا سرت في شوارع المدينة اليوم سوف تشاهد العديد من المواطنين المرضى والمشوهين.

«كان شاهو في سن التاسعة في ذلك الوقت. خلال أسابيع من الهجوم بدأ يشعر بالألم في الظهر وأصبح عاجزاً عن الوقوف على قدميه أو السير. قال: «قبل الهجوم الكيميائي كنت سليم الجسم تماماً... إني متأكد من أن الغاز السام سبب مرضي. فقدت والدتي بصرها في ذلك الوقت، وساعات حالي الصحية تدريجياً منذ ذلك الحين». ويختفي شاهو الآن أيامه مستلقياً على فراشه عاجزاً عن التحرك وتدير شقيقته جسمه من جانب إلى آخر كل ٣٠ دقيقة كي لا يصاب بقرح الفراش.»

— غوين روبرتس، «أسلحة سامة»، جرائم الحرب،  
تحريرغوتمان وريف (سنغافورة، ١٩٩٩).



ضحايا الاعتداء على  
حلبجة.



نقل أحد المواطنين، اسمه السيد عكره، إلى مستشفى في إيران قبل أن يعود إلى حلبجة للاهتمام بشؤون عائلته، وقال «شاهدت أكثر من ٢٠٠ جثة ملقاة على مسافة لا تمتد أكثر من ١٠٠ متر. وكانت تفوح رائحة رهيبة من المواد الكيميائية والجثث. دخلت إلى الملجا فأرأيت أولاً جدي. كان جسمها منتفخاً. ثم رأيت الوجه المسود لوالدتي، فغبت عن الوعي».

— غاي دينمور، صحيفة الفانينشال تايمز، ١٠ تموز/يوليو، ٢٠٠٢.

## الحكومة تنتهك رفاه الأطفال

لا يكتثر صدام بصحة ورفاه أطفال العراق. فمنذ حرب الخليج فقط بنى صدام ٤٨ قسراً متراضاً لنفسه. وفي ذات الوقت، كانت المواد الصيدلانية المرسلة إلى الأطفال المرضى يعاد تصديرها للبيع خارج البلاد. يتآثر تسليم الأدوية والتجهيزات الطبية التي يحتاج إليها بشدة الأطفال بسبب الرشاوى التي يطلبها أفراد نظام الحكم من مورديها. أدى غياب الرعاية الصحية في العراق إلى عودة ظهور أمراض كان قد تم القضاء عليها بالكامل قبل عدة سنوات، ومن ضمنها الكوليرا وشلل الأطفال.

بالإضافة إلى ذلك، يقوم النظام بأخذ الأطفال الأقلية كرهائن لإجبار عائلاتهم على الانتقال للعيش في مناطق أخرى بهدف زيادة الغالبية العربية السنوية في مناطق معينة. كما يرغم نظام الحكم أيضاً الأولاد، بين سن العاشرة والخامسة عشر، على الالتحاق بدورات تدريبية، لمدة ثلاثة أسابيع، للتدريب على استعمال الأسلحة، والقتال بالسلاح الأبيض، والهبوط من الطوافات، وأساليب قتال جنود المشاة. يتعرض هؤلاء الأولاد لمدة ١٤ ساعة يومياً لضغط جسدية ونفسية. ويجري تهديد العائلات التي لا تريد إرسال أولادها إلى هذه الدورات التدريبية القاسية بحرمانها من بطاقات الإعاشة.

«يتعدب ملايين من الناس الأبرياء في العراق. تعطلت حياتهم اليومية إلى حد كبير بالنسبة لتوزيع الغذاء ونواعيته، والحصول على المواد الصيدلانية والتجهيزات الصحية، كما بسبب عدم توفر مياه الشرب النظيفة. أثّرت كافة هذه العناصر بشدة على عمل أنظمة الصحة والتعليم الأساسية كما أثّرت سلباً على حق العمل.»

– تقرير المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان في العراق التابعة للأمم المتحدة، لعام ١٩٩٩



فتاة كردية وقد بلّهها المطر وغطّاها الوحل في مخيم للاجئين على الحدود العراقية.

### إذا كنت طفلاً في عراق صدام، يمكن أن تواجهه...

- تغذية غير كافية أو نقصاً في الأدوية لأن صدام يحدد المستوردات ويزعّل الكثير من هذه المواد على أصدقائه وحلفائه.
- الاختطاف، إذا كنت غير عربي تعيش في منطقة منتجة للنفط.
- ضرورة الإبلاغ عن ما يقوله والدك حول نظام صدام.

## **بيان أدلت به نضال محيي الشيخ شلال، زوجة الشيخ شلال محمد الشلال، رئيس قبيلة قريعات الجبور في ٤ تشرين الأول / أكتوبر، ٢٠٠٢ :**

...«أُلقي القبض على شقيقتي عام ١٩٨٠. ومنذ ذلك الوقت، لم نعرف مطلاً ما حصل له. أرسلت لنا الحكومة بياناً رسمياً عن وفاته بقصد إثارتنا. تم إعدام أشقاء زوجي، الذين هم أيضاً أبناء عمي: الشهيد رعد شلال محمد الشلال والشهيد وعدالله محمد الشلال. بعد ذلك، صودرت أملاكنا وطردنا من أراضينا. وحتى اليوم الحاضر، فإن أحد بستين الفاكهة التي نملكها في القرىعات (ضاحية من ضواحي الأعظمية في شمال العراق) ما زال محولاً إلى مصنع سري لإنتاج أسلحة كيميائية.».

«جرى استجوابي عدة مرات. وعندما قرر زوجي الهرب والاختباء في مكان سري. ثم طردت من وظيفتي الحكومية. جرت محاولات عديدة لإلقاء القبض على زوجي بسبب معارضته للنظام، وأعدم أشقاءه. في عام ١٩٩١، اشتراك في الانفاضة، ولكنه أُسر وسُجن لمدة أربعة أشهر في سجن يديره جهاز المخابرات العسكرية العراقية. كسر ضلعه الأيسر وانفه خلال التعذيب، وتعرض لعدة صدمات كهربائية لا زالت آثارها مرئية على جسمه.»

« تعرضت قبيلتنا، قبيلة الجبور، للابادة الكاملة تقريباً. اشتهرت القرىعات بكفاحها ضد النظام العراقي. أُلقي القبض على ٨٨٢ رجلاً من أقربائي وأفراد قبيلتي ولا يزال مصيرهم مجهولاً. وبينات عمي، ليلي الجبوري، وفاطمة الجبوري، وطرفة الجبوري وصفاء الجبوري جميعهن تم إعدامهن.»

## إسكات الأفكار أو المعتقدات المستقلة

ساهم العلماء العراقيون عبر التاريخ في تطوير الفكر السياسي. أما اليوم، فلا وجود لأي نقاش سياسي، ولا تنشر حتى أي مقالات في الصحف العراقية تتساءل عن سياسات الحكومة. أما الذين حاولوا ذلك، فهم الآن إما في المنفى أو في عداد الموتى.

في أيلول/سبتمبر، ١٩٩٩، أُلقي القبض على هاشم حسن، وهو صحفي معروف وأستاذ في جامعة بغداد، بعد أن رفض تعينه محرراً في إحدى المجالات التي يملكها عدي حسين الخاصة للسيطرة الحكومية. ولا يزال مصيره مجهولاً. الحرية الصحفية غير موجودة لأن الحكومة تسقط على وسائل الإعلام ورغم ضمان الدستور العراقي حرية الاجتماع، فلا يُسمح للمواطنين العراقيين بالتجمع لأي غرض غير التعبير عن تأييدهم للحكومة. كما لا يُسمح لهم بمغادرة العراق والسفر كغيرهم من المواطنين في الدول الحرة. تُشكّل الأساليب المتعلقة بالسفر التي يتبعها صدام حسين وسيلة لإبقاء المواطنين العراقيين رهائن في بلد يرغب الكثيرون مغادرته، وتتضمن هذه الوسائل ضرورة الحصول على موافقة حكومية محددة بالسفر، وفرض تأشيرات خروج مكلفة، وشرط دفع ضمانة مالية للحكومة من أجل السفر، كما يتم استجواب الأشخاص والصحافيين الذين يسمح لهم بمغادرة البلاد عند عودتهم للتأكد من أنهم ما زالوا «مخلصين» للحكومة العراقية.

يضم الدستور العراقي أيضاً حرية الدين، إن لم يشكل انتهاكاً «للأخلاق والنظام العام». رغم ذلك، فإن حرية الدين غير موجودة بالفعل في عراق صدام حسين. تُشكّل الطائفة الشيعية في العراق نسبة ٦٠ بالمئة من العدد الإجمالي للسكان في هذا البلد. لكن حزب البعث المكون من عرب من الطائفة السنّية يسيطر على السلطة، ويحرم ممارسة معظم طرق العبادة الشيعية. ففي مناطق عديدة، لا يُسمح للمسلمين الشيعة المشاركة في صلاة الجمعة. ويفصل منعاً باتاً بث البرامج الدينية للشيعة عبر محطتي الإذاعة والتلفزيون الخاضعين للسيطرة الحكومية. كما لا يجوز نشر كتب وأدلة الصلاة الشيعية في العراق. وقد منع تداول الآلاف من الكتابات الشيعية في جميع المناطق العراقية.

في عراق صدام، إذا كنت مسيحياً كلدانياً، أو تركمانياً،  
أو إذا كنت تنتمي إلى أقلية اثنية أخرى، أو إلى الأقلية  
الشيعية، من الممكن أن تواجه.....

- الترحيل الإلزامي إلى منطقة أخرى إذا كنت تعيش في منطقة يريد النظام السيطرة عليها أو تطهيرها.
- منعك من الدراسة أو ممارستك الدينية.
- حظر دراسة لغتك، كاللغة السريانية، واستعمالها في الممارسة الدينية.
- عدم الحماية من العنف الغوغائي.
- التمييز في المدرسة، والعمل، والحكومة.

## الصوت الصامت للناخبين العراقيين

مع أن المجتمع الدولي يتوجه بتزايد نحو مبادئ الحريات الفردية، والتعديدية، والحكومة التمثيلية، إلا أن المواطنين العراقيين لا يملكون حق تغيير حكومتهم. لقد اسكت صدام حسين أصوات المعارضة السياسية، ولم تنظم انتخابات حقيقة منذ تسلمه الحكم في البلاد عام ١٩٧٩. وعلى الرغم من أن الدستور العراقي يضمن أيضا حرية الاجتماع، فإن القوانين العراقية تفرض عقوبة الإعدام على أي انضمام، إن كان في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل، إلى أحزاب غير حزب البعث. يعتمد صدام على الاستفتاءات غير الديمقراطية، كالتى نظمها عام ١٩٩٥ وعام ٢٠٠٢، لإضفاء الشرعية على رئاسته للبلاد. وفي أحد استفتاء أجراه، تم تعليم «بطاقات اقتراع سرية» بأرقام يمكن من خلالها للحكومة معرفة المقترع. وكان هناك اسم واحد على بطاقة الاقتراع: «صدام حسين - نعم أم لا». وقد فهم المواطنون نتائج تحولهم إلى «أعداء» لصدام. وقد ادعى انه حصل على انتصار استثنائي بلغ نسبته ١٠٠٪، إذ زاد عن نتائج استفتاء ١٩٩٥ التي بلغت نسبته ٩٩,٩٦٪.

### حزب البعث العربي الاشتراكي أمة واحدة ذات رسالة خالدة

مرسوم صادر عن مجلس قيادة الثورة

يعاقب بالإعدام:

- أي عضو في حزب البعث العربي الاشتراكي يخفى عن قصد انتتماته والتزاماته الحزبية والسياسية السابقة.
- أي عضو حالي أو سابق في الحزب، يتم التأكيد، بموجب إثبات، أنه ارتبط خلال فترة عضويته في الحزب مع أي حزب أو مجموعة سياسية أو أنه عمل لأجلها أو لمصالحها.
- أي عضو حالي أو سابق في الحزب، انضم إلى حزب أو مجموعة سياسية أخرى أو عمل لأجلها أو لمصالحها بعد إنهاء علاقته مع الحزب.

أنا، مجید ارشد محمود، بعد إدراكي الكامل لفحوى المرسوم الصادر عن مجلس قيادة الثورة، أصرح بأنني سوف أكون مسؤولاً أمام القانون في حال انتهاكى لأحكام المرسوم المذكور. وتأكدأ بذلك، وقعت.

الاسم: مجید ارشد محمود  
مركز الإقامة: إربيل العرب  
مركز العمل: موظف في مستشفى إربيل  
التاريخ: ١١ كانون الثاني / يناير، ١٩٧٩  
(التوقيع)

تم التثبت من صحة التوقيع من قبل خلية سياسية (للحزب)  
تم التثبت من صحة التوقيع من قبل قيادة فرقـة  
(التوقيع)  
ختـم الفرقـة

تقديمة من مركز البحوث والتوثيق العراقي

- شجب مجلس الأمن الدولي «محاولات العراق تغيير التسييج الديمغرافي لشعب الكويت. ...»  
– قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٧٧ بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر، ١٩٩٠.
  - شجب مجلس الأمن الدولي «قمع السكان المدنيين العراقيين في أجزاء عديدة من العراق. ...»  
– قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٨ بتاريخ ٥ نيسان/أبريل، ١٩٩١.
- إثر رحلة قام بها عام ١٩٩٩ إلى العراق، أعلن ماكس فان دير ستويل، المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان في العراق التابعة للأمم المتحدة، في تقريره إلى رئيس لجنة حقوق الإنسان:
- «دونت شهادتهم، التي تراوحت بين الذين عرضوا إلى آثار الجراح والذوب التي تركتها عمليات التعذيب على أجسادهم، والمئات من النساء الكرديات اللواتي رفعن أصابعهن للإشارة إلى عدد أفراد عائلاتهن الذين أقتلتُهم القبض عليهم السلطات العراقية واختفت آثارهم لاحقاً.»
- «إن نظام الحكم السائد الذي يمارس انتهاكات منهجية لمبادئ حقوق الإنسان، يتناقض مع العديد من الالتزامات التي تعهد بها العراق إلى المجتمع الدولي...»  
– المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان في العراق التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، ١٩٩٩.
  - «يستمر صدام حسين بتشكيل تهديد للاستقرار في الشرق الأوسط... ولا يزال يسعى إلى تحقيق السيطرة الكاملة على شعب العراق وهو لهذا مستعد للقيام بعمليات قمع منتظمة...»  
– توني بلير، رئيس وزراء بريطانيا، ١٧ شباط/فبراير، ٢٠٠١.
  - «إن مجرد الإيحاء بأن شخصاً لا يؤيد الرئيس يؤدي إلى احتمال تعرضه لعقوبة الإعدام...»  
– اندریاس مافرومatis، المقرر الخاص للأمم المتحدة، التقرير المقدم إلى الأمين العام للأمم المتحدة، ٢٠٠١.
- أعطى قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٤٤١ الصادر في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠٠٢، إلى العراق فرصة إضافية:
- «أحث القيادة العراقية على اغتنام هذه الفرصة والبدء في إنهاء عزلة وعذاب الشعب العراقي...»  
– كوفي عنان، الأمين العام للأمم المتحدة، ٨ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠٠٢.
- يدعم المجتمع الدولي شعب العراق. فقد أصبح العالم يسمع صوت هذا الشعب وحكاياته رغم محاولات صدام حسين العديدة لكتم هذا الصوت.

صورة الغلاف: نساء عراقيات يحملن صور أقارب لهن ما زالوا مجهولي المصير منذ حرب الخليج.  
يتظاهرن أمام مبنى وزارة الإعلام في بغداد في تشرين الاول/اكتوبر، ٢٠٠١.

## المجتمع الدولي يندد بصدام حسين



أفراد أسرة كردية يحملون أمتعتهم القليلة إلى مخيم لللاجئين بعد أن شرّدتهم القوات العراقية اثر تمرد فاشل على صدام حسين سنة ١٩٩١.

منذ العام ١٩٤٥، تضافرت جهود الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لإقامة عالم تُحترم فيه الحريات الأساسية والكرامة الإنسانية. خلال السنوات العشرين الماضية، سار العراق في الاتجاه المعاكس. يحرم القانون الدولي التعذيب، والقتل، وتنفيذ عقوبات وحشية، غير إنسانية أو مهينة للكرامة الإنسانية. إلا أن صدام حسين أنشأ نظام حكم ينتهك هذه القوانين الدولية بشكل فاضح، ويعرض هذه الانتهاكات أمام المجتمع الدولي. وعلى امتداد السنوات العشرين الماضية، سجل المجتمع الدولي اعتداءات صدام على الشعب العراقي وندّ بها بشدة:

مكتب الديموقراطية وحقوق الانسان والعمل

<http://www.state.gov/g/drl>

مكتب برامج الاعلام الخارجي

<http://usinfo.state.gov>

وزارة الخارجية الأمريكية